منهج الأشاعرة في دحض شبه غير المسلمين من خلال الأجوبة الفاخرة للقرافي

الدكتور عبد الإله الإدريسي

قدم الأشاعرة عبر محطات تاريخية معتبرة خدمات جليلة للفكر الإسلامي، كان من أبرزها ربط الإنسان بالقضايا الإيمانية التي حث عليها القرآن الكريم، وحرص النبي الكريم على تبليغها طوال مدة دعوته عليه السلام، ومن هذه القضايا العقدية وجود الباري عزو جل، وإفراده تعالى بالتوحيد والعبادة، على الوجه الذي ارتضاه، إضافة إلى قضايا النبوة، والبعث والجزاء، وغيرها من القضايا الأخرى التي شكلت عماد الفكر العقدي الإسلامي، واتسم منهج الأشاعرة بالوسطية والاعتدال، بعيدا عن الغلو والتطرف الفكري والسلوكي لدى بعض الفرق الإسلامية الأخرى التي حادت عن جادة الصواب، وابتعدت بذلك عن مقاصد الدين الحنيف ومقوماته السمحة، أثناء مقاربتها لمثل هذه القضايا.

ولعل خصيصة الوسطية والاعتدال إضافة إلى خصائص أخرى ميزت المذهب الأشعري جعلت جمهور المسلمين يقبلون عليه بالرغم من اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم، وتنوع اختياراتهم الفقهية، مما شكل مرجعا لوحدتهم العقدية، وهو ما يفهم من قول الإمام تاج الدين السبكي (ت771 هج): "وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة -ولله الحمد- في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة يدينون الله تعالى بطريقة شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله لا يحيد عنها إلا رعاعٌ من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال، ورعَاعٌ من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرَّأَ الله المالكية فلم نر مالكيا إلا أشعريا عقيدة"[1].

هذا وإن المطلع على الكتابات الأشعرية المهتمة بالعقيدة ليلمس بحق سعة اطلاعهم على القضايا والمواضيع المختلفة، وإحاطتهم بها وبجملة من إشكالاتها المختلفة، مع رحابة أفقهم العلمي والمعرفي، إضافة إلى أصالة وتفرد المناهج العلمية التي اعتمدوها.

1-تاج الدين السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1407هـ 1986م، ص 62.

ولعل الاهتمام القرآني والنبوي ببسط عقائد غير المسلمين كان محفزا للمفكرين المسلمين، ومنهم الأشاعرة على مجادلة أهل الملل الأخرى، ومناظرتهم، وبسط عقائدهم في مصنفاتهم، والرد عليها، وفق منهج دقيق، يحمل في طياته خصائص المذهب الأشعري في تعاطيه مع القضايا العقدية للآخر غير المسلم، بغية التمكين للعقيدة الإسلامية الصحيحة، وبيان زيف مقولات غير المسلمين فيما تعلق بهذا الجانب، ورد جملة من الشبهات المتعلقة بقضايا الإسلام والمسلمين، والتي روج لها هؤلاء، دون الإخلال بحق الآخر في حرية المعتقد الذي كفلته له الشريعة الإسلامية، وجسده المسلمون واقعا عمليا طوال فترات من تاريخهم.

وهكذا تناولت أقلام عدد من علماء الأشاعرة بالعرض والتحليل والدراسة والنقد القضايا العقدية لغير المسلمين، فأفرد بعضهم لها مصنفات مستقلة، كما هو الشأن مثلا عند إمام الحرمين أبي المعالي الجويني (ت 478 هـ) في "شفاء الغليل فيما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل"، وفي رد الإمام الباجي (ت 474 هـ) على رسالة راهب فرنسا، وفي مصنف أبي حامد الغزالي (ت 505 هـ) الموسوم بـ : "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل"، وفي "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة"، للإمام شهاب الدين القرافي(ت 684 هـ)، وفي غيرها من المصنفات الأشعرية الأخرى التي اهتمت بهذا الشأن.

ووفقا للاعتبارات السابقة سنحاول بحول الله من خلال هذه الورقة العلمية رصد جملة من الشبهات سواء تلك التي أثارها بعض المخالفين الدينيين فيما له صلة بالملة الإسلامية وأتباعها، أو تلك التي وردت في مصادرهم وتبنتها معتقداتهم، مما لا يتوافق مع توجيهات ومقاصد الدين الإسلامي الحنيف، وأدرجها الإمام شهاب الدين القرافي في كتابه "الأجوبة الفاخرة"، مع بيان ردوده عليها، وتتبع المعالم النقدية التي اقتفى أثرها في هذه الردود، مع إبراز خصائص المنهج الأشعري ضمن هذه المعالم النقدية.

وجدير بالذكر أن هذه الشبهات المدرجة في كتاب "الأجوبة الفاخرة" كثيرة ومتعددة، ويصعب تتبعها جميعها بالدراسة والتحليل، وللضرورة المنهجية سنكتفي بإيراد البعض منها

كقضية الألوهية والنبوة، إضافة إلى بعض القضايا الأخرى.

المحورالأول: شبهات حول قضايا الألوهية ورد الإمام القرافي لها

في علاقة بما سبق إيراده فإن تسليط الضوء من خلال هذا المحور سينصب بحول الله، على بعض الشبه المتعلقة بالألوهية، والمنافية لعقيدة التوحيد التي أقرها الإسلام، وهذه الشبه وردت في مصادر غير المسلمين، وتعقبها الإمام شهاب الدين القرافي في كتابه "الأجوبة الفاخرة" بالرد والنقد، مبينا أوجه الخلل فيها.

أولا: نفي مشابهته تعالى للحوادث

تجدر الإشارة إلى أن الأشاعرة عقدوا في كتبهم الكلامية فصولا لتنزيه الحق سبحانه ونفي مشابهته للحوادث، ومن ذلك مثلا الفصل الذي عقده سيف الدين الآمدي (ت631 هج) في كتابه "أبكار الأفكار في أصول الدين" والذي عنونه بقوله: "في أنه لا خالق إلا الله تعالى ولا مؤثر في حدوث الحوادث سواه"[1]. واعتبروا أن "من صفات نفس القديم تعالى مخالفته للحوادث، فالرب تعالى لا يشبه شيئا من الحوادث، ولا يشبهه شيء منها"[2].

وأما حقيقة مخالفة الباري سبحانه للحوادث فقد قرر الأشاعرة أنها "عبارة عن نفي المشابهة في الذات والصفات والأفعال، فليست ذاته من جنس الأنوار ولا الظلمات ولا الأعراض ولا الأجرام، بل كل ما يخطر ببالك فالله بخلاف ذلك"[3].

1-ينظر في تفاصيل ما اندرج تحت هذا الفصل من نفي مشابهة الباري عز وجل للحوادث في:سيف الدين الآمدي،أبكار الأفكار في أصول الدين،تحقيق أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1424 هـ 2004م،229/2 ومابعدها.

2-أبو المعالي الجويني،الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ضبط وتحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 1430 هـ 2009م، ص 39.

3-سعيد فودة، تهذيب شرح السنوسية "أم البراهين"، دار الرازي للطباعة والنشر، عمان الأردن، الطبعة الثانية 1425 هـ 2004م، ص 38.

أ. نفي صفات النقص عن الباري تعالى

وللاعتبارات السابقة تطرق الإمام شهاب الدين القرافي بدوره في معرض تنزيهه للباري سبحانه وتعالى، لبعض الشبهات التي أثارها غير المسلمين فيما له صلة بخلق السماوات والأرض، وما ألصقه اليهود بخاصة بالذات العلية في هذا الشأن من صفات لا تليق به سبحانه، ومن ذلك ما زعمه هؤلاء في العهد القديم من أن"الله تعالى لما خلق الخلق في ستة أيام... استراح في اليوم السابع"[1]، وأنه "نقل عن بعضهم في غير التوراة أنه تعالى في اليوم السابع استلقى على ظهره واضعا إحدى رجليه على الأخرى"[2].

غير أن الإمام القرافي لم يكتف بعرض هذه الشبهة، بل عمل على إبطالها ونفيها،ورد ما لا يجوزفي حق الله تعالى من الصفات الموحية بالعجز، ومماثلة الحوادث، وذلك باقتفاء منهج نقدي يوحي بإحاطة الرجل بالعقيدة الإسلامية الصافية ومنها العقيدة الأشعرية، مستنبطا من الشبهة المعروضة آنفا، مكامن العلة والوهن التي ألمت بها، بل وألمت في عمومها بعقائد غير المسلمين فيما له صلة بما ذكر، وهو ما يعرب عنه قوله تعليقا على مقالة اليهود بخلق الله تعالى للسموات والأرض في ستة أيام واستراحته في اليوم السابع، -تعالى عن ذلك علوا كبيرا- "وفي هذا جهالات منها:

- التجسيم
- ومنها ضعف القدرة لطريان التعب والنصب
- ومنها يلزمهم أن يكون إلههم حادثا، فإن محل الحوادث يجب أن يكون حادثا، والتعب والنصب حوادث"[3].

ثم نجده بعد ذلك يحرص في رده على الانتصار للعقيدة الإسلامية الصحيحة المثبتة للصفات

1-شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان الصنهاجي المشهور بالقرافي،الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1426 هـ 2005م، ص 162.

2-المصدر السابق والصفحة السابقة.

3-المصدر السابق، والصفحة السابقة.

الواجبة في حقه سبحانه، وفق الاعتبار الأشعري كالقدرة و الإرادة والعلم، ليخلص إلى تقرير هذا المعنى بقوله: "فأين هذا القول من قول المسلمين: أن يكون خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضة، وأن إيجاده بأن يقول للشيء كن فيكون؟ واعتقاد المسلمين أن صنعه للأشياء بلا علاج ومخالطة لها وبلا مزاج، وأن علمه محيط بكل شيء صنعه، ولا علة للصنعة، فها هو التوحيد والتمجيد اللائق بجلال الربوبية وتعظيم الله تعالى"[1].

وهكذا فإن منهج الإمام القرافي في إثبات الصفات الواجبة لله تعالى يقوم على التنزيه المطلق للباري سبحانه، ورد ما يستحيل في حقه عز وجل من كل ما يوحي بالعجز والنقص والحاجة، مما هو معدود من صفات الحوادث، والتي قال بها غير المسلمين وأوردوها في مصادرهم الدينة، وهذا المنهج الذي اقتفى أثره الإمام القرافي في هذا الباب هو منهج الأشاعرة وعموم أهل السنة والجماعة المعتمَد عندهم في مثل هذه المناسبات وفي غيرها من المناسبات المختلفة.

ب.نفي الحيز والجهة عن الباري تعالى

كما سعى علماء العقيدة الإسلامية ومنهم الأشاعرة كذلك إلى رد العقائد التي توحي بالتحيز والجهة، في حق الباري سبحانه وتعالى، والتي تتعارض مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، فهو جل وعز وفق ما أورده الشيخ الدردير (ت 1201 هـ) في منظومته:

منزه عن الحلول والجِهَهْ   والاتصالِ والانفصالِ والسَّفَهْ[2]

لذاصوَّب الإمام القرافي سهام الدراسة والنقد إلى ماله صلة بهذا الأمر من خلال انفتاحه على مصادر غير المسلمين، ومنها العهد القديم، حيث أورد نصوصا في هذا الشأن، ومن ذلك

1-المصدر السابق، والصفحة السابقة.

2-أحمد بن محمد العدوي، الشهير بالدردير،شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، تحقيق وتعليق عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دار البيروني، بدون ط، ولا تاريخ ط، ص 12.

قوله: "قالت اليهود في التوراة إن الله نزل إلى الجنة ومشى فيها حين كلم آدم عليه السلام، وأنه نزل إلى الأرض حين أنقذ بني إسرائيل من سحرة فرعون، ونزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العليق، ونزل إلى الأرض عندما كلم إبراهيم وبشره بالولد، ونزل إلى الأرض حين قاتل النمرود وقومه ومنعهم من بناء الصرح"[1]. ويقدم الإمام القرافي شاهدا آخر في هذا الباب من العهد القديم له صلة بسابقه فيقول: "قالت اليهود إن الله تعالى أمرهم أن يبنوا له قبة ينزل إليها، فعملها موسى عليه السلام، وسماها قبة العهد، ونزل الله تعالى في عرشه، ونزل معهم في داخل القبة، ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم"[2].

وإذا تأملنا هذا الكلام علمنا مراد الإمام القرافي من عرضه لهذه النصوص المقتبَسة من العهد القديم، والذي لم يكن سوى نفي الجهة والتحيز عن الباري سبحانه، والتي هي من صفات الحوادث التي تلبَّس بها الفكر العقدي اليهودي، لذا فالمتأمل في مصادر العقيدة الأشعرية يعلم علم اليقين أنها تنفي هذاالقول جملة وتفصيلا، ومن ذلك مثلا ما جاء في العقيدة الوسطى وشرحها للإمام السنوسي (ت 895 هج) مما نص عليه صاحبها بالقول: "لأن شغل الجهة يستلزم التحيز، وكل متحيز جرم[3]، والله جل وعلا يستحيل أن يكون جرما، ولأنه لو كان في جهة لكان إما أكبر منها، وإما أصغر، ويحتاج إلى المخصص، وأيضا فلو كان في جهة لم يخل إما أن يتحرك فيها أو يسكن، وكل من الحركة والسكون حادثان فهما لا يخلو عنهما حادث، وأيضا لو كان في جهة لاحتاج إلى من يخصصه بجهة دون جهة، وذلك يستلزم الحدوث، ولم يقل بالجهة أحد من أهل السنة، وإنما قال بها طائفة من المبتدعة"[4].

هذا ولم يحد الإمام القرافي بدوره عن هذا المقصد وهو ما استحضره حين إيراده لشواهد

1-المصدر السابق، ص 164.

2-المصدر السابق، ص 165-166.

3- الجرم: هو الذي يأخذ قدر ذاته من الفراغ، أبو عبد الله محمد الغماري التونسي،رسالة في عقائد أهل السنة، تحقيق نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة تونس، بدون تاريخ ط، ص 103.

4- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني الحسني، العقيدة الوسطى وشرحها، تحقيق يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ ط، ص 124-125 .

من العهد القديم والتي توحي بالتحيز والجهة في حق الباري تعالى، وهو ما صرح به بقوله "وهذا جهل عظيم منهم، والحامل لهم عليه أنهم يسمعون أن الله تعالى كلم هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، فاعتقدوا أن هذا إنما يكون منه تعالى بالحركات والتنقل في الجهات، فأثبتوا ذلك في توراتهم، وهذا يقضي أن كتبهم ملفقة على حسب أهوائهم، لا على حسب ما أنزل الله تعالى إليهم"[1]. ويقول أيضا ردا على فرية اتخاذ اليهود قبة للباري عز وجل للنزول فيها "فانظر إلى استخفافهم بالله إلى هذه الغاية، تحويه القباب، ويسير مع الركاب، وهذه غاية الإسهاب في السباب، ومما لا يليق برب الأرباب، بل هو تعالى ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تحويه الجهات، ولا يوصف بالحركات والسكنات، ولا يشبهه شيء من المخلوقات"[2].

والمتأمل في كلام الإمام القرافي يلمس أنه وفق بحق في الإحاطة بمسببات الفساد العقدي بخصوص ما ذهب إليه اليهود من إثبات المكان والجهة للباري تعالى، وذلك لتنزيلهم غير السليم للخطاب الإلهي، وحمل نصوصه على غير مرادها، وجهلهم بحقيقة الوحي، وما يستتبعه ذلك من جهل بسبل تلقي الرسل عليهم السلام له من ربهم عز وجل.

وما أورده الإمام شهاب الدين القرافي في هذا الباب ما هو في الحقيقة إلا رد لفهم مادي ساذج ألَمَّ بالفكر العقدي اليهودي في علاقته بالباري عز جل، فشوه معاني التوحيد الحق، وخالف جوهر العقيدة الصحيحة الصافية، وهو مثال من بين الكثير من الأمثلة التي وردت في الفكر العقدي اليهودي ومصادره، وربما لصعوبة حصرها وتتبعها جميعها، ومراعاة للاعتبارات المنهجية في مثل هذه الكتابات اكتفى الإمام القرافي في الغالب بعرض البعض منها دون البعض الآخر.

ثانيا: نفي الشريك عن الله تعالى

وإذا كانت الألوهية عند الأشاعرة هي: "عبارة عن كون وجود مولانا جل وعز واجبا غنيا

1-القرافي،الأجوبة الفاخرة،ص 164-165.

2-المصدر السابق، ص 166.

عن الفاعل، وأن كل ما سواه مفتقر إليه، وإن شئت قلت الألوهية هي استغناء مولانا جل وعز عن غيره، واحتياج كل ما سواه إليه. وبالجملة فهي عبارة عن كونه خالقا، وليس بمخلوق، ولا نزاع بين أهل الإسلام في أن تدبير العالم كله وخلق الأجسام، واستحقاق العبادة، وقدم الذات القائمة بنفسها، كلها من خواص الألوهية"[1].

فإن كان ما كتبه الإمام شهاب الدين القرافي فيما له صلة بمفهوم الألوهية يتوافق ابتداء مع هذا التعريف الذي ارتضاه الأشاعرة، إلا أنه بالنسبة إليه وجب أن يقوم ضرورة على حسن استيعابه على الوجه المطلوب، كأولوية معرفية ومنهجية، يُتوسل بها لرفع كل لبس عقدي تعلق بهذا الجانب، غير أن هذا الأمر حسب الإمام القرافي غير معتبر في الفكر العقدي النصراني، مما عمق أزمته، وأفضى به إلى القول بتعدد الآلهة، والإشراك بالله تعالى، وقريب من هذا المعنى هو ما عناه بقوله حين مناقشته لشبهة التثليث التي يدين بها النصارى: "ولا شك أن النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون معنى الإله ولا أي شيء هو الموجب لاستحقاق العبودية، فلذلك عبدوا ثلاثة آلهة وهم لا يشعرون... فينبغي لهذه الطائفة النصرانية أن تبكي وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكي على فقد الدين، فإذا وهبها الله تعالى عقلا سألت عن حقيقة الألوهية حتى تعلمها بحدودها وشروطها، وخصوص ماهيتها، ومايجب للألوهية وما يستحيل عليها"[2].

ومن الشبه التي وقف عليها الإمام القرافي في هذا الشأن وحاول بعض النصارى رمي العقيدة الإسلامية بها، اتهامهم الديانة الإسلامية بالقول بتعدد الآلهة، وكون ذلك مدرج في مصادر المسلمين المعتمدة مثل القرآن الكريم، وهو ما يفهم من قولهم: "لو علم المسلمون مرادنا بالأب والابن والروح القدس[3] لما أنكروا علينا... وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون، ونحن لم

1- السنوسي، العقيدة الوسطى وشرحها، ص 208.

2-القرافي،الأجوبة الفاخرة، ص 64-65.

3- يذهب المسيحيون إلى كون إلههم عبارة عن ثلاثة أقانيم ممتازة امتيازا حقيقيا، ويسمونها الآب والابن والروح القدس ويصفونهم هكذا:

الآب: هو الأقنوم الأول، وهو والد الأقنوم الثاني، وهو مكوّن الكائنات.

الابن: هو الأقنوم الثاني، وهو ولَد الأقنوم الأول، وهو المخلِّص من الخطيئة.

نطلق ذلك من قبل أنفسنا، بل في الإنجيل، قال عيسى عليه السلام: "اذهبوا إلى سائر الأمم وعَمِّدوها باسم الأب والابن والروح القدس"، وفي أول القرآن: "بسم الله الرحمن الرحيم" فاقتصر على هذه الثلاث: الأب، والابن، والروح القدس"[1].

وفي هذا المضمار وسيرا على نهج أهل السنة والجماعة، الداعي إلى التوحيد الخالص، ورد كل شبهة قد يقول بها بعض المبتدعة من المسلمين أو من غيرهم من أهل الأديان الأخرى، وتحصينا لعقيدة التوحيد من كل ما قد يفضي إلى انتهاك مقوماتها، عمل الأشاعرة في هذا الشأن إلى إثبات الصفات التي تليق بجلاله، والقول بقدمها، وبوجوبها له سبحانه، وقسموها إلى نفسية وسلبية ومعاني ومعنوية[2]، وكل ذلك بغرض تنزيهه تعالى عن الشريك والمثيل والنظير.

وقد اقتفى الإمام القرافي بدوره هذا النهج من إثبات الصفات الإلهية للباري سبحانه، والقول بقدمها، ردا لعقيدة التثليث التي هي جوهر العقيدة النصرانية، وتنزيها للمولى عز وجل عن الشريك والنظير وفق ما أسلفنا، وذلك في معرض دحضه للشبهة التي حاول بعض النصارى إلصاقها بعقيدة المسلمين، وما فيها من تقويض لمبدأ التوحيد، الذي هو عماد الإسلام وقوامه، بقوله "وأما في القرآن من "بسم الله الرحمن الرحيم" فتفسيركم له غلط، وتحريف كما في الإنجيل، لأن الله تعالى عندنا في البسملة معناه: الذات الموصوفة بصفات الكمال، ونعوت الجلال، والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته، فإن صفات الله تعالى منها سلبية نحو: الأزلي، أي لا أول له، والصمد أي لا جوف له، ومنها ثبوتية قائمة بذاته، وهي سبعة: العلم، الإرادة، القدرة، الحياة، الكلام، السمع، والبصر،

الروح القدس: وهو الأقنوم الثالث، ويصدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية، وهو معطي الحياة، ويقولون أن هذه الثلاثة أقانيم واحد: محمد وصفي، المسيح والتثليث، تقديم محمد عبد الله السمان، مراجعة علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ، ص 105.

1-القرافي،الأجوبة الفاخرة،ص 58.

2-ينظر في بيان تقسيم هذه الصفات وتعريفها، وفق الاعتبار الأشعري في: إبراهيم الباجوري، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، اعتنى به وعلق عليه أحمد الشاذلي الأزهري، دار التنوير المبين للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى 2016م، ص 155 وما بعدها، والعربي اللوه،الرائد في علم العقائد، مطبعة تطوان، طبعة 2016م، ص 109 وما بعدها.

ومنها فعلية خارجة عن ذاته تعالى يستحيل قيامها به نحو الرزق والهبات والخلق والإحسان، فتسمية "الرزاق" "الوهاب" "الخالق" "المحسن" باعتبار أفعاله لا باعتبار صفة قديمة بذاته"[1].

وارتباطا بما سبق عمل الإمام القرافي أيضا على بيان مكمن الخلل الذي وقع فيه الفكر العقدي النصراني، وأفضى به إلى الإشراك بالله عز وجل، والمتجلي في الخلط بين ذات الله وصفاته، على مستوى الاعتقاد والعبادة، وما في هذا الخلط من انتهاك بيّن لمقومات العقيدة الصحيحة التي تقضي إفراد الذات العلية لوحدها بالعبادة دون غيرها، وهو ما صرح به بقوله: "أما النصارى فاعتقدوا استحقاق العبادة للذات وبعض الصفات ومن حل فيه بعضها، فكانوا قائلين بتعدد الآلهة بالضرورة، فلا معنى لقولهم أن هذا لا يلزمنا، إنما لا يلزمهم ذلك إذا قالوا المسيح عليه السلام لا يستحق العبادة، ولا نصلي له ولا نعبده، ومن عبده كفر، لأنه عبد من جملة خلقه حلت فيه صفته فهو غير الله تعالى، ومن عبده فهو مشرك، بل من عظَّم صفة من صفات الله تعالى: علمه أو كلامه، أو حياته، أو سمعه، أو بصره، تعظيم الله تعالى، فهو كافر مشرك مع الله"[2].

المحور الثاني: رد الإمام القرافي لشبهات أخرى مختلفة

لم تقف جهود الإمام شهاب الدين القرافي عند الإعلاء من عقيدة التوحيد، ورد الانحرافات العقدية لغير المسلمين بخصوص قضايا الألوهية، بل انبرى كذلك للرد على جملة من الشبهات التي أوردها هؤلاء بخصوص قضايا مختلفة ذات صلة بالإسلام والمسلمين، كقضية النبوة والأنبياء، وقضايا أخرى ارتبطت بالقرآن الكريم، وبقيام الإسلام على مبدأ السلم من عدمه، وهو ما سنروم بيانه في الأسطر المقبلة بحول الله.

أولا: شبهات حول قضايا النبوة ورد الإمام القرافي لها

تجدر الإشارة إلى أن عقيدة الأشاعرة في الأنبياء صلوات الله عليهم، هي ما عليه السواد

1-القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص 59-60.

2-المصدر السابق، ص 64.

الأعظم من أهل السنة والجماعة من أنهم عليهم السلام أصحاب رسالة سماوية، مبعوثون من عند الله، وغير ذلك مما لا يتم إيمان المسلم إلا به، يقول الفقيه المالكي محمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت 1072 هـ) في هذا الشأن: "وقد تقرر أنّا مكلفون بمعرفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا يتم إيماننا إلا بذلك، ولا يحصل لنا الإيمان إلا بمعرفة ما يجب لهم، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم"[1]. وقريب من هذا المعنى أشار إليه نظما القاضي سيدي أحمد سكيرج (ت1363 هـ) بقوله:

والأنبيا كلهم مـــنـــزَّهون فلا ... يرميـهـــمُ أحـدٌ بالافـتراء أبدا
ومن رمى واحداً منهمْ بِفِـرْيَتِه ... فـإنّـه في ضَـلالٍ للرَّدى وَرَدا
أما الصَّغيرةُ مما لا احتـقـارَ به ... قبْلَ النبوَّةِ فيه الخُلْفُ قد وُجِدا
والحقُّ أنهم بالحقِّ قد عُصِموا ... من النَّقَائِصِ فيما قـد خَـفـا وبَدا
فلا يسامَحُ من رماهم بهـوًى ... أو باتِّسامٍ بِما يكونُ غيــرَ هُدَى
فإنَّ أحوالَهم بعصمةٍ حَسُنَتْ ... وليس يَصْدُرُ عنهم غيرَ ما حُمِدا[2].

هذا ومن تمام التصديق بالأنبياء عليهم السلام كذلك وجوب الإيمان بما كُلِّفوا به من أمر الرسالة وما اشتملت عليه من توجيهات وأحكام وتشريعات وعقائد، ومن هذه العقائد تلكم القضايا الغيبية المصطلح عليها في عُرْف علماء العقيدة بالسمعيات "وهي ما لا سبيل إلى الإيمان به إلاّ عن طريق الخبر اليقيني"[3]، ويدخل في ذلك التصديق بالأخبار الغيبية التي جاء بها نبينا

1-محمد بن أحمد ميارة، الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لا بن عاشر الشهير بميارة الكبرى، دار ابن حزم بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1436 هـ 2011م، ص 93-94.

2-أحمد بن العياشي سكيرج، مورد الصفا في محاذاة الشفا، تحقيق محمد الراضي كنون، مطبعة ياديب، الرباط، بدون طبعة، ولا تاريخ، ص 320.

3-محمد سعيد رمضان البوطي،كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، و دار الفكر دمشق سورية، طبعة الثامنة 1417 هـ 1997م،ص 301.

محمد عليه السلام، وهذا المعنى الأخير هو ما نص عليه صاحب "العقيدة البرهانية" بقوله "فيجب الإيمان بما جاء به صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر، وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير، والصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة، وأنباء الآخرة جملة وتفصيلا"[1].

أ. رد عقيدة اليهود في الأنبياء

وبخصوص قضايا النبوة يورد القرافي جملة من الشواهد المقتبَسة من التوراة، والمنتهكة لحرمة الأنبياء عليهم السلام، مما ادعاه اليهود، وضمنوه في مصادرهم الدينية من التحامل عليهم، ورميهم بأقبح النعوت، ومنها اتهامهم لبعضهم بالزنا[2]، وبأكل أموال الناس بالباطل[3]، وبالتدليس والاحتيال والكذب[4]، وبالحسد والعنف[5]، وبالتراخي عن الاستجابة لأوامر الله[6] إلى غير ذلك من النعوت التي لا تليق بمقام النبوة، ولا توافق العقيدة الصحيحة.

ثم يَرُدُّ الإمام شهاب الدين القرافي بعد ذلك على بعض هذه الانتهاكات، مبينّا ما فسد من عقائد اليهود بخصوصها، مصححا ما اعوج منها، متَّبعا في ذلك سبيل الأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة في هذا الباب،المُعْلِي من شأن النبوة المعظِّم لأمرها، العارف بجلالة قدرها، وذلك بقوله: "كلا والله بل بواطنهم مملوءة إجلالا وتعظيما، وهم المخصصون بدوام المراقبة لأوامر الله تعالى، انقيادا وتسليما، وماهي بأول جراءة من اليهود على الأنبياء عليهم السلام"[7].

ويبقى نَفَس الانتصار لمقام النبوة ساريا بقوة في كتاب "الأجوبة الفاخرة" وهو ما يلمسه

1-أبو عمرو عثمان السلالجي، العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، مع شرح العقيدة البرهانية، أبو عثمان سعيد بن محمد بن العقباني، تحقيق نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1429 هـ 2008م،ص 93.

2-القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص 102.

3-المصدر السابق، ص 164.

4-المصدر السابق، والصفحة السابقة.

5-المصدر السابق، ص 165.

6-المصدر السابق، ص 163.

7-المصدر السابق، والصفحة السابقة.

المتتبع لمضامينه، إذ يحرص الإمام القرافي كذلك على إثبات العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، رافعا من قدرهم ظاهرا وباطنا، مبينا الحكمة من ذلك، وهذا النهج يظهر في مواضع عديدة من الكتاب، ومنها مثلا رد مصنِّفِه على ما ورد في التوراة من رمي اليهود للوط عليه السلام بأبشع النعوت والرذائل التي لا تليق بمقام النبوة، باتهامهم إياه بشربه الخمر، ومضاجعته لابنتيه، بقوله: "فما أجرأهم على أعراض الأنبياء عليهم السلام، بل على دمائهم، ومثل هذه الحكاية كثير في التوراة يسمونها النجاسات، وناهيك بكتاب مشتمل على النجاسات فكيف يليق نسبته إلى الله تعالى، فيقطع العاقل أن شرب لوط عليه السلام الخمر وزناؤه بابنتيه كذب، مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأن الله تعالى شرفهم نسبا، وخُلقا، وسيرة وسريرة، بحيث لا يوجد في نسب نبي ولا شيء من أحواله ما يكون سببا للطعن عليه، وهو مقتضى الحكمة، إلا لما صلح جعله رسولا عن الله، ولما حصلت حكمة الرسالة، بسبب نفور الخلق منه، واهتضامهم لجهته"[1].

ب. الانتصار لنبوة النبي محمد عليه السلام

ولم يَسْلَمِ النبي الكريم بدوره من افتراء اليهود، حيث شككوا في صدق رسالته عليه السلام، وهو زعم قديم قال به هؤلاء منذ بعثته عليه السلام، وهجرته إلى المدينة المنورة، واحتكاكه باليهود عن كثب[2].

وسعيا منه إلى إثبات صدق نبوة الرسول الكريم، حرص الإمام شهاب الدين القرافي في مصنفه "الأجوبة الفاخرة" على إيراد بعض الدلائل التي هي حجة على من أنكر نبوته عليه السلام، وبخاصة اليهود منهم، فيعددها، بيانا لصدق رسالته ونبل دعوته عليه السلام، ومن

1-المصدر السابق، ص 102.

2- ينظر في بعض الشواهد الدالة على السعي اليهودي في النيل من مصداقية النبي الكريم، كرسول مبعوث من عند الله تعالى في: ابن هشام عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، دار العقيدة الإسكندرية القاهرة، الطبعة الثانية، 1430 هـ 2009 م،346/2، وابن قيم الجوزية،وزاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع لبنان، الطبعة الثالثة 1418 هـ 1998م، 59/3.

هذه الحجج التي أوردها في هذا الباب نذكر:

- **شهادة اليهود المهتدين إلى الإسلام بصدق نبوته عليه السلام**

إذ حسب الإمام القرافي فقد "أسلم خيار اليهود وخيار علمائهم كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار وأخبرونا بأن مقتضى التوراة، ومقتضى دين اليهود، صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأجمع اليهود قديما وحديثا على سيادة هؤلاء وعظم شأنهم في العلم والدين وكثرة الاطلاع، وهم اليوم يسلمون ذلك، فتكون شهادتهم حجة على اليهود، لأنه لم يكن هناك ما يوجب عدولهم عن الحق، لا سيما الأتقياء والسادة والنجباء، فإن شهادتهم مقبولة في كل شيء، فتقبل على اليهود في كل شيء"[1].

- **النبي عليه السلام مبعوث إلى العالمين كافة**

إذ اعتبر الإمام القرافي أن عالمية دعوته عليه السلام تقتضي أن يبشر وينذر جميع الناس بما فيهم أهل الكتاب ومنهم اليهود "فلو لم يكن رسولا إليهم لما دعاهم"[2].

- **تأييد الله تعالى للنبي عليه السلام بالمعجزات**

ويذهب الإمام القرافي في هذا الشأن إلى القول بأن إيمان اليهود بمعجزات الأنبياء يُلزِمهم بوجوب التصديق بنبوة النبي عليه السلام لأنه بعث بدوره بالمعجزات، وهو ما نص عله بقوله: "يقول اليهود حقيقة المعجزة لا تختلف، وهي فعل خارق يقترن بالتحدي، وهذا قد وجد في حق محمد بن عبد الله كما وجد في حق موسى عليه السلام، فإذا كانت المعجزة لا تفيد النبوة يلزمهم ألا يعتقدوا نبوة موسى عليه السلام، وإن أفادت يلزمهم اعتقاد نبوة محمد عليه السلام"[3].

1-القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص 159.
2-المصدر السابق، ص 161.
3-المصدر السابق، ص 157.

- **بشارات الكتب السماوية السابقة به عليه السلام وبصدق نبوته**

وقد أفرد الإمام شهاب الدين القرافي بابا كاملا في مصنفه "الأجوبة الفاخرة" عنونه بقوله "فيما يدل من كتب القوم على صحة ديننا ونبوة نبينا صلى الله عليه وسلم"[1] وخصصه لعرض جملة من البشارات الواردة في الأناجيل، والتي حصرها في واحد وخمسين بشارة مستخرَجة من أناجيل العهد الجديد، وذلك ما أشار إليه عند الانتهاء من عرضها بقوله: "ولنقتصر على هذه الحادية والخمسين بشارة خشية الإطالة، وفي واحدة منها الكفاية، لمن أنصف وقصد الحق، فكيف بواحد وخمسين؟"[2].

وهذا التتبع والاستقصاء يعرب عن طول نَفَسِ الإمام القرافي في التنقيب، وقدرته على استقراء مصادر غير المسلمين ومنها الأناجيل، واستخراج الشواهد منها، وإثبات القرائن الموحية بالبشارة به عليه السلام بيانا لصدق نبوته، وردا لشبهات الجاحدين المنكرين لها من غير المسلمين.

ثانيا: شبهات حول القرآن الكريم ورد الإمام القرافي لها

من المواقف العقدية التي تحفظ للأشاعرة ولأهل السنة والجماعة عموما قولهم بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى غير مخلوق[3]، وأنه معجز[4]، وذلك حرصا منهم على ربانية مصدره، وحفظا له من كل تحريف وتبديل. ورغم ذلك فإن من غير المسلمين من حاول إثارة بعض الشبهات بخصوص الكتاب العزيز، بغية النيل من مصداقية رسالة الوحي المنزَّل من السماء،

1-المصدر السابق، ص 175.

2-المصدر السابق، ص 196.

3-أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار مصر، الطبعة الأولى 1397 هـ 1977م، ص 149 وما بعدها، وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1407 هـ 1987م، ص 178-179.

4-ينظر في قول الأشاعرة بإعجاز القرآن الكريم، ووجوه هذا الإعجاز في:أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني،إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ ط، ص 16 وما بعدها،و 33وما بعدها.

وتوسلت بعض من هذه الشبه المثارة من قِبَل هؤلاء بالاحتجاج باختلاف القراءات القرآنية من جهة، ووجود بعض القراءات الشاذة[1] من جهة ثانية، واعتبروا هذه الأخيرة من قبيل الزيادة التي ليست من القرآن، وأشاروا في هذا الباب إلى بعض قراءات ابن مسعود رضي الله عنه (ت 32 هج) واحتجوا كذلك بنفي هذا الصحابي الجليل للمعوذتين، وجعلوا ذلك من النقصان الذي طال القرآن، عكس باقي الصحابة الكرام الذين أثبتوهما وجعلوهما منه، وكل هذا -حسب زعمهم- من علامات التناقض والتحريف والتبديل، في محاولة منهم لصدِّ النقد العلمي الذي خصه علماء المسلمين لمصادرهم الدينية[2]. ومما اعتمده الإمام القرافي لدحضمثل هذه الشبه التي حاول غير المسلمين إلصاقها بالقرآن الكريم، إيراده لجملة من القرائن التي يستفاد منها أن الكتاب العزيز رباني المصدر، وأنه محفوظ من التبديل والتحريف ومن ذلك:

أ. تواتر الروايات القرآنية

إذ اعتبر الإمام القرافي أن الروايات القرآنية مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم من طريق التواتر، والتي تلقاها عليه السلام بدوره من الله عز وجل،وهذا من أعلى درجات الصحة التي تفيد اليقين والقطع، يقول الإمام القرافي: "وكلها مروية عنه عليه السلام متواترة، فنحن على ثقة في جميعها، وأنها عن الله تعالى وبإذنه متلقاه عن خير رسله"[3].

1- يقول ابن الجزري (ت 833 هج) مبينا الفرق بين القراءات القرآنية الصحيحة والشاذة: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، وصح سندها فهي القراءة الصحيحة، التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف": محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، النشر في القراءات العشر، أشرف على تحريره ومراجعته محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، بدون تاريخ ط، 9/1.

2-ينظر في تفصيل هاتين الشبهتين في:القرافي،الأجوبة الفاخرة، ص 113-115.

3-المصدر السابق، ص 116.

ب- تحري الدقة والصرامة المنهجية في جمع القرآن الكريم

وهذه الصرامة المنهجية في جمع القرآن الكريم توخى منها المسلمون حسب الإمام القرافي تمييزه عن غيره دفعا لشبهة التحريف والتبديل، وهو ما نص عليه بالقول: "لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئا من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل، ولا قول أحد من الصحابة، بل متى قال صحابي قولا نسب له فقط، ولا يجوز أن يقال هذا من قول النبي عليه السلام فضلا عن كونه من القرآن"[1]. وفي علاقة بهذا الشأن، وردا على غير المسلمين القائلين بأن الزيادات التي أدرجها ابن مسعود رضي الله عنه في بعض كلمات القرآن الكريم هي من قبيل التحريف والتبديل، ذهب الإمام القرافي إلى القول بأنها من باب التفسير والبيان لكلمات القرآن، معتبرا أن الصحابة مع ذلك خالفوا ابن مسعود فيما ذهب إليه، توخيا للصرامة المنهجية التي ألمحنا إليها آنفا، والتي تروم الاحتراز من كل تحريف وتبديل قد يلحق كتاب الله، وهو ما نص عليه بالقول: "وغير ذلك مما كان رضي الله عنه يعتقد أنه تفسير لتلك الآيات التي نازعوه فيها حرصا منه على بيان معناه، فكانوا هم يحرصون على أن لا يضاف للقرآن غيره، حذرا مما اتفق لأهل الكتاب في كتابهم... وكان الصواب معهم رضي الله عنهم، فميزوا كلام الله من غيره، ولم يخلطوه بسواه، فسلم عن الغلط والزلل، وهذا هو الحزم الذي وفق الله تعالى له هذه الأمة"[2].

وهذه الصرامة المنهجية التي ألمح إليها الإمام القرافي معتبرة عند الصحابة رضوان الله عليهم كذلك فيما تعلق بحذف شيء من القرآن، حتى وإن كان ذلك من باب إقرار جزئية فقهية معينة، يرجى منها تحقيق مصلحة، وهذا المعنى يظهر من رده على الذين قالوا إن حذف ابن مسعود رضي الله عنه للمعوذتين هو من التحريف والتبديل، وهو ما عبر عنه بقوله: "وأما المعوذتان فكان ابن مسعود يريد أن يفردهما عن القرآن، ليقرأهما الجُنُبُ وغيره، للتعوذ حتى يتميز ما يشترط فيه الطهارة من القرآن عما لا يشترط، فهذا وجه اجتهاده رضي الله عنه، ورأي الصحابة رضي الله عنهم أن إفراد شيء من القرآن عن القرآن ذريعة ووسيلة إلى إسقاط بعض

1-المصدر السابق، والصفحة السابقة.

2-المصدر السابق، ص 113-114.

القرآن"[1].

ج. تعدد الروايات القرآنية تيسير ورفع للحرج عن الأمة

وما دام مبدأ التيسير ورفع الحرج خصيصة من خصائص الشريعة الإسلامية، فإن تعدد القراءات القرآنية يدخل ضمن هذا الاعتبار كذلك، وهو ما ذهب إليه الإمام القرافي، في معرض رده على الذين قالوا بأن هذا التعدد من علامات تحريف القرآن، وذلك ما يفهم من قوله: "أنزل الله تعالى كتابه العزيز على خير رسله بلغة قريش، وقبائل العرب مختلفة اللغات في الإمالة والتفخيم، والمد والقصر، والجهر والإخفاء، وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارة، فلو كلفوا كلهم الحمل على لغة واحدة لشق عليهم ذلك، فسأل عليه الصلاة والسلام ربه أن يجعله على سبع لغات، لتتسع العرب ويذهب الحرج، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، فأنزلت القراءات كذلك"[2].

ثالثا: شبهة انتشار الإسلام بالقوة والعنف ورد الإمام القرافي لها

من المقولات المجحفة في حق الإسلام والمسلمين ادعاء انتشاره بالقوة والعنف، وهي شبهة أثارها من ناصب العداء للدعوة الإسلامية في القديم والحديث، سواء من بعض المستشرقين[3] أو من غيرهم، وهذه الفرية ما لبثت تتجدد بين الفينة والأخرى في وقتنا الحالي وإن بمسميات جديدة منها مسمى الإرهاب مثلا، وقد روج لها من قبل كذلك بعض أهل الأديان من اليهود والنصارى مما جعل الإمام القرافي يبسط مضمونها في كتابه "الأجوبة الفاخرة" ثم يرد عليها، كما هو دأبه مع كثير من الشبه التي أوردها في مصنفه هذا، وأما نص هذه الشبهة فهو كالآتي: "قال الفريقان الملعونان اليهود والنصارى إن دين المسلمين في غاية الضعف، وإنما ظهر بسبب

1-المصدر السابق، ص 114.

2-المصدر السابق، ص 116.

3-ينظر في بعض افتراءات المستشرقين، بخصوص انتشار الإسلام بالقوة والعنف، مع الرد عليها، في: عفاف صبره، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة المصرية، طبعة 1985، ص 80 وما بعدها.

القتال والقهر والغلبة والإخافة وسلب الذراري والأموال، ولو سلكوا العدل والإنصاف لما ظهر في دينهم حق"[1].

وقد انبرى الإمام القرافي لرد هذه الشبهة وبيان ما اعتراها من زيف، بربطه فعل العنف بغير المسلمين، وتبرئته لساحة الإسلام مما نسب إليه في هذا الشأن، معتمدا في ذلك على جملة من الحجج، كان من بينها:

أ- مخالفة غير المسلمين لكتبهم الدينية

ومنها الأناجيل التي فيها دعوة باسم المسيح عليه السلام إلى إقرار السلم، وترسيخ مبدأ التسامح، وقد أورد الإمام القرافي في هذا المضمار نصا من الانجيل[2] بغرض بيان وجه المخالفة هذا، ثم عقب عليه بقوله: "ومع ذلك فهم من أشد الناس تكالبا وحرصا على القتل والقتال، وبسط الأيدي بالأذى في أقطار الأرض، بسلب النفوس والأموال مستبيحين لذلك، يعتقدونه من أعظم القربات، وأوثق أسباب السعادات مع تحريم إنجيلهم عليهم ذلك"[3].

ب. تنكيل النصارى واليهود ببعضهم البعض

وكان هذا تحديدا مع البدايات الأولى لظهور النصرانية وخرقهم بذلك لمبدأ السلم والتسامح، وقد أورد الإمام القرافي في هذا الصدد بعض الحجج التاريخية الدالة على العنف والاعتداء المتبادل بين كل من اليهود والنصارى في بداية العهد النصراني[4].

1-القرافي،الأجوبة الفاخرة، ص 108.

2- للاطلاع على النص الذي توسل به الإمام القرافي في هذا الباب ينظر: إنجيل متى (5: 38-46).

3-القرافي، الأجوبة الفاخرة، ص 108.

4-المصدر السابق، والصفحة السابقة.

ج. استعانة بعض الأنبياء بمبدأ المواجهات العسكرية

ويورد الإمام القرافي شواهد من الكتب الدينية لغير المسلمين توحي بتوسل بعض الأنبياء عليهم السلام بمبدأ المواجهات العسكرية، بغية إحقاق الحق، ورفع الحيف عن الناس، مما يتوافق مع مراد الله من بعثة الأنبياء والرسل الذي هو نصرة المستضعفين، ومحق الظلم والظالمين[1].

د. بيان المنظورالصحيح للمواجهات العسكرية في الإسلام

واعتبر الإمام القرافي أن الذي يجب أن تنصرف إليه الأفهام فيما له ارتباط بالمواجهات العسكرية التي أقرها الإسلام، هو كونها داخلة كذلك ضمن الاعتبار السابق الذي ارتضاه الله تعالى للأنبياء والمرسلين، تماشيا مع السنن الإلهية الرامية إلى إحقاق الحق ورفع الظلم، وهو ما نص عليه بالقول: "وإذا كان القتال سنة الله وعادته لأهل الحق مع أهل الضلال، فنحن على تلك السنة سالكون وبها عاملون، فتكون من مناقبنا، لا من مثالبنا، ومن حسناتنا، لا من سيئاتنا"[2].

وهكذا يظهر أن الإمام شهاب الدين القرافي توسل في رده لشبهة اعتماد الإسلام في مساره الدعوي على العنف، التي قال بها اليهود والنصارى باستيفاء مجموعة من الشواهد المدرجة من مصادرهم الدينية، ورصد أحداث معلومة من تاريخهم، مستهدفا من ذلك تسليط الضوء على حجم العنف الذي اقترفه هؤلاء، وما فيه من اعتداء على الأنفس والأموال والأعراض الذي لا يرتضيه دين الإسلام، ولا يتوافق مع مقاصده، وإبطاله بالتالي لمقولة انتشار الدعوة الإسلامية باعتمادها على أسلوب الإكراه والعنف، وتصحيحه لها ببيانه المقصد المرجو من المواجهات العسكرية من المنظور الإسلامي.

1-المصدر السابق، ص 109.

2-المصدر السابق، والصفحة السابقة.

خـاتمـة

وختاما لا بد من القول إن ردود علماء المسلمين، على المخالفين لهم في العقيدة كان الهدف منه نصرة قضايا الحق التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، وبيان ما ارتبط بها من هدي وخير للبشرية جمعاء في معاشهم ومعادهم، وكان هذا دأب الأشاعرة كذلك، وهذا ما أعرب عنه الإمام القرافي في مصنفه "الأجوبة الفاخرة" وفق ما دلتنا عليه عدد من الشواهد السالفة. لتكون مثل هذه الكتابات الدفاعية عن قضايا الإسلام وغيرها من الكتابات الأشعرية الأخرى، كاشفة عن أصول المذهب الأشعري، مبرزة للكثير من مميزاته وخصائصه، ضامنة لاستمراره في الزمان والمكان، عكس عدد من المذاهب الاعتقادية الأخرى التي لم تحز هذا الفضل، ولم يُكتب لها الاستمرار، ولعل شيئا من هذا المعنى هو ما عبر عنه العلامة أبو علي الحسن اليوسي (ت 1102 هـ) بقوله: "ولا خفاء أن بقاء الأشعرية إلى آخر الدهر، واضمحلال غيرها من الطرق، من أقوى الأمارات على أنها حق، وأنها التي عليها النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ثبتنا الله عليها حالا ومآلا وجميع المؤمنين بها بمنه ورأفته"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الورقة خلصت إلى جملة من النتائج نذكر منها:

- عقيدة الإمام القرافي في الرد على افتراءات غير المسلمين مرجعها ما عليه الأشاعرة وسائر أهل السنة والجماعة من تنزيه لله تعالى عن مشابهة الحوادث، ونفي الشريك والحيز والجهة عنه سبحانه.

- مخالفة غير المسلمين للعقيدة الصحيحة التي جاءت بها الأديان السماوية ومنها الديانة الإسلامية، بانتهاكهم لمبدأ التوحيد الخالص، ووقوعهم في عقيدة الشرك بالله تعالى، وتطاولهم على حرمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

1- أبو علي الحسن اليوسي، حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي، تحقيق حميد حماني اليوسي، دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء، الطبعة الأولى شتنبر 2008م، 231/1.

- دفاع الأشاعرة في شخص الإمام القرافي عن قضية النبوة والأنبياء ومنها نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، برده للشبهات التي أوردها غير المسلمين بخصوص هذا الأمر.

- إعلاء الأشاعرة من مكانة الكتاب العزيز بردهم للافتراءات التي حاكها غير المسلمين بخصوصه، وهو ما تجلى في ردود الإمام القرافي على جملة من الشبهات الواردة في هذا الباب.

- مبدأ السلم الذي أقره الإسلام من السبل الكفيلة لإحقاق التعايش والاستقرار والأمن بين الناس جميعا، وهو ما حرص الإمام القرافي على إثباته ردا على بعض غير المسلمين القائلين بانتشار الدعوة الإسلامية بالقوة والعنف.

- أهلية الإمام القرافي العلمية وسعة اطلاعه مكنته من الانفتاح على نصوص الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد وإحاطته بقضاياه وإشكالاته، وذلك في معرض رده على شبهات وافتراءات غير المسلمين.

- الامام القرافي في رده على افتراءات غير المسلمين مثال للمثقف الأشعري الواعي بقضايا مجتمعه والمنخرط فيها، دفاعا عن دينه وأمته.

- كتاب "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة" من المصادر الأشعرية النفيسة التي أعلت من قيمة العقيدة الإسلامية الصافية، وأسهمت في حفظ الدين من كل استهداف وتطاول، بفضل جِدَّة مضمونها وأصالة منهجها.

ثبت المصادر والمراجع المعتمدة:

- إبراهيم الباجوري، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، اعتنى به وعلق عليه أحمد الشاذلي الأزهري، دار التنوير المبين للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى 2016م.
- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع لبنان، الطبعة الثالثة 1418 هـ 1998م.
- ابن هشام عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، دار العقيدة الإسكندرية القاهرة، الطبعة الثانية، 1430 هـ 2009م.
- أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة،تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار مصر، الطبعة الأولى 1397 هـ 1977م.
- أبو المعالي الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ضبط وتحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى 1430 هـ 2009م.
- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ ط.
- أبو عبد الله محمد الغماري التونسي، رسالة في عقائد أهل السنة، تحقيق نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة تونس، بدون تاريخ ط.
- أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني الحسني، العقيدة الوسطى وشرحها، تحقيق يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ ط.
- أبو علي الحسن اليوسي، حواشي اليوسي على شرح كبرى السنوسي، تحقيق حميد حماني اليوسي، دار الفرقان للنشر الحديث، الدار البيضاء، الطبعة الأولى شتنبر 2008م.
- أبو عمرو عثمان السلالجي، العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، مع شرح العقيدة البرهانية، أبو عثمان سعيد بن محمد بن العقباني، تحقيق نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1429 هـ 2008م.
- أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان، الطبعة الأولى1407 هـ 1987م.
- أحمد بن العياشي سكيرج، مورد الصفا في محاذاة الشفا، تحقيق محمد الراضي كنون، مطبعة ياديب، الرباط، بدون ط، ولا تاريخ ط.

- أحمد بن محمد العدوي، الشهير بالدردير، شرح الخريدة البهية في علم التوحيد، تحقيق وتعليق عبد السلام بن عبد الهادي شنار، دار البيروني، بدون ط، ولا تاريخ ط.
- تاج الدين السبكي،معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1407هـ 1986م.
- سعيد فودة، تهذيب شرح السنوسية "أم البراهين"، دار الرازي للطباعة والنشر، عمان الأردن، الطبعة الثانية 1425 هـ 2004م.
- سيف الدين الآمدي، أبكار الأفكار في أصول الدين،تحقيق أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1424 هـ 2004م.
- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان الصنهاجي المشهور بالقرافي، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على الملة الكافرة، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1426 هـ 2005م.
- العربي اللوه، الرائد في علم العقائد، مطبعة تطوان، طبعة 2016م.
- عفاف صبره، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار النهضة المصرية، طبعة 1985.
- الكتاب المقدس، الطبعة الرابعة، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، العهد القديم الإصدار الثاني، 1995، العهد الجديد الإصدار الرابع، الطبعة الثلاثون 1993م.
- محمد بن أحمد ميارة، الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لا بن عاشر الشهير بميارة الكبرى، دار ابن حزم بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1436 هـ 2011م.
- محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، النشر في القراءات العشر، أشرف على تحريره ومراجعته محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، بدون تاريخ ط.
- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، و دار الفكر دمشق سورية، طبعة الثامنة 1417 هـ 1997م.
- محمد وصفي، المسيح والتثليث، تقديم محمد عبد الله السمان، مراجعة علي الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ ط.